# الفصل الرابع

## المشاعر والعواطف

كما يتميز المجتمع المسلم بما يسوده من أفكار ومفاهيم، يتميز أيضًا بما يسوده من مشاعر وعواطف. فهناك مجتمعات تسودها مشاعر الحقد الطبقي، ومجتمعات تسودها مشاعر التمييز العنصري، ومجتمعات تسودها مشاعر العصبية الإقليمية (الوطنية)، ومجتمعات تسودها مشاعر العصبية القومية.

ونجد المجتمعات تتفاوت كذلك في مشاعر الولاء والعداء، وعواطف الحب والبغض، وأحاسيس الغضب والرضا.

والمجتمع المسلم قد جعل ولاءه للإسلام وأهله وأنصاره، كما جعل عداءه لأعداء الإسلام ومحاربيه، وهذا مبني على فكرة الولاء لله ورسوله، ومن اتخذ الله وليًّا فقد اتخذ عدوه عدواً.

والمجتمع الإسلامي، يتميز بما يسوده من عاطفة الإخاء الوثيق، والحب العميق بين أبنائه، أعني أبناء الإسلام جميعًا، مهما تناءت بهم الديار، وتفرقت بهم الأوطان، واختلفت منهم الأجناس والألوان، وتفاوتت بينهم المراكز والطبقات.

إن الله سبحانه قد امتن على المسلمين بنعمة الإخاء، كما امتنّ عليهم بنعمة الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (آل عمران:١٠٣)، وقال يخاطب رسوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(الأنفال:٦٢-٦٣).



OBEIKAN.COM

إنه لا مجال في المجتمع الإسلامي الحق لمشاعر الحقد والصراع بين الطبقات ، ولا لمشاعر الكبر والتمييز بين الأجناس والألوان ، ولا لمشاعر العصبية لرقعة من دار الإسلام ـ الوطن الإسلامي ـ دون رقعة ، ولا لقوم من أهل الإسلام ـ ولو كانوا أهله وعشيرته ـ دون قوم ، فوطن المسلم هو دار الإسلام ، وقوم المسلم هم أهل الإسلام .

لقد كان مسجد النبي ﷺ في المدينة يضم تحت سقفه أجناسًا وألوانًا وطبقات . لم يحسوا بغير شعور الأخوة الجامعة ، ولم يشعروا بأي تفرقة أو تمايز بينهم ، منهم الفارسي كسلمان ، والرومي كصهيب ، والحبشي كبلال ، والغني كعثمان ابن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والفقير كأبي ذر وعمار ، وفيهم البدوي والحَضَري ، والمتعلم والأميّ ، والأبيض والأسود ، والرجل والمرأة ، والضعيف والقوي ، والرقيق والحر : كلهم أخوة في ظل الإسلام ، وتحت راية القرآن .

إن الإخاء الإسلامي هو (الملاط) الذي يربط بين اللبنات المسلمة في بنيان مرصوص لا ينهدم ولا يتزعزع ، كما جاء في الحديث المتفق عليه : « المومن للمؤمن كالبنيان ، يشدُّ بعضه بعضًا »[1] .

والإخاء الإسلامي ليس أمرًا على هامش الإسلام ، ولكنه أحد مبادئه الأساسية ، التي تقرن إلى الشهادة لله تعالى بالوحدانية ، ولمحمد ﷺ بالرسالة ، لأنه أثر الإيمان ومقتضاه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات:١٠) .

روى أحمد وأبو داود أن النبي ﷺ كان يدعو دبر كل صلاة بهذا الدعاء :

« اللَّهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، أنا شهيد أنك الله وحدك لا شريك لك .

اللَّهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، أنا شهيد أنّ محمدًا عبدك ورسولك .

اللَّهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، أنا شهيد أنَّ العباد كلهم إخوة »[2] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الصلاة (٤٨١) ، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥) ، عن أبي موسى الأشعري .

(٢) رواه أحمد (١٩٢٩٤) ، وقال مخرجوه : ضعيف . وأبو داود في الصلاة (١٥٠٨) ، والنسائي في الكبرى (٩٨٤٩) ، عن زيد بن أرقم . وقال العيني في شرح أبي داود (٤٢٠/٥) : والحديث فيه مقال .



OBEIKAN.COM

فهذا هو محمد رسول الله يَشهد ويُشهد الله رب كل شيء : أن العباد ، كل العباد إخوته ، وهذا هو إخاء الإسلام ، إخاء بين الناس كافة ، وبين المسلمين خاصة .

ويجعل النبي ﷺ الإخاء والحب شرطًا للإيمان ، الذي هو شرط لدخول الجنة فيقول : « والذي نفسي بيده ، لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا »[١] ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[٢] . وبيّن علاقة المسلم بالمسلم ، فيقول : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره ولا يخذله ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »[٣] .

الرابطة الفذة التي يعترف بها الإسلام هي رابطة الإخاء بين أبنائه ، دون أية رابطة أخرى ، فقد حارب الإسلام العصبية بكل ألوانها ومظاهرها : العصبية للقبيلة ، أو للجنس ، أو للون ، أو للوطن ، أو للطبقة ، أو للحزب . . أو لغير ذلك مما يتعصب الناس له ، إلا للحق الذي نزل به الوحي ، وقامت به السماوات والأرض .

يقول رسول الله ﷺ : « ليس منا مَن دعا إلى عصبية ، وليس منا مَن قاتل على عصبية ، وليس منا مَن مات على عصبية »[٤] .

ولقد صوّر النبي ﷺ المجتمع المسلم وما يسوده من مشاعر التواد والتعاطف والتراحم فقال في حديثه المشهور : « ترى المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر »[٥] .

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٤) ، عن أبي هريرة .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) ، كلاهما في الإيمان ، عن أنس .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢) ، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) ، واللفظ له ، عن أبي هريرة .

(٤) رواه أبو داود في الأدب (٥١٢١) ، عن جبير بن مطعم .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في الأدب (٦٠١١) ، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦) ، عن النعمان بن بشير .



OBEIKAN.COM

فالمجتمع الذي يعيش فيه كل فرد لنفسه ، لا يأسى لآلام الآخرين ولا يحس بأحزانهم ، ولا يفرح لفرحهم ، ليس هو بالمجتمع المسلم .

المجتمع الذي يطغى فيه القوي على الضعيف ، ويقسو فيه الغني على الفقير ، ويشح فيه الواجد على المحروم ، ليس هو بالمجتمع المسلم .

- **مهمة المجتمع مع المشاعر الإسلامية :**

إن دور المجتمع المسلم مع المشاعر الإسلامية يتمثل فيما يلي :

١- **تثبيت هذه المشاعر وتقويمها** ، وإشاعتها بكل الوسائل الإعلامية والتربوية : المسجد ، والمدرسة ، والكتاب ، والصحيفة ، والإذاعة ، والتلفاز ، والخيالة ، وكل وسيلة تعين على تحقيق هذه الغاية .

لقد رأينا النبي ﷺ لكي يثبت مشاعر الإخاء بين المسلمين يقول دبر كل صلاة : «اللّهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، أنا شهيد أنّ العباد كلهم إخوة» تثبيتًا لهذا المعنى الكبير .

ومن حسن حظ المسلمين أن الأفكار والمشاعر التي جاء بها دينهم لم يدعها مجرد أشياء مثالية مجنحة ، بل ربطها بشعائره وآدابه اليومية ، فإذا نظرنا إلى الصلاة الإسلامية وجدنا فيها تثبيتًا مستمرًا لما يدعو إليه الإسلام من التعارف والإخاء والمحبة والمساواة . وكذلك الصيام والحج ، وكذلك أدب التحية ، وتشميت العاطس ، وعيادة المريض ، وغيرها من الآداب الاجتماعية التي حثّ عليها الإسلام .

٢- **تجسيد هذه المشاعر الإسلامية** في واقع ملموس وأوضاع عملية .

فمشاعر التراحم والمودّة بين ذوي القربى ، يجب أن تتجسد في تواصل وتزاور وتكافل . يتمثل في نظام (النفقات) في الإسلام ، حيث يجب على القريب الموسر أن ينفق على قريبه المحتاج كما قال تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ (الإسراء:٢٦) ، ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ (الأحزاب:٦) ، ومثله نظام الميراث : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ

﴿وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء:٧) .

ومشاعر الإخاء والمحبة بين المسلمين يجب أن تتجسد في صورة تكافل معاشي وتضامن عسكري، واتحاد سياسي، وتعاون اقتصادي، بمعنى أن يتجسد هذا الإخاء في مثل (الزكاة) تؤخذ من أغنيائهم، لتُرَد على فقرائهم، وفي مثل الجهاد الذي يوجب على المسلمين ـ بالتضامن ـ أن يدفعوا عن كل أرض إسلامية دنستها أقدام العدو الكافر. وفي مثل (الخلافة) التي تفرض على المسلمين وحدة القيادة، المنبثقة عن وحدة العقيدة ووحدة الفكر، ووحدة السلوك، ووحدة الوطن.

ولهذا رأينا النبي ﷺ أول قدومه إلى المدينة بعد الهجرة يؤاخي بين المهاجرين والأنصار مؤاخاة عاطفية عملية، جعلتهم يتقاسمون السرَّاء والضرَّاء، حتى روي أنهم كانوا يتوارثون بهذا الإخاء.

ولما انتهى هذا الإخاء الخاص، بقي الإخاء العام يسود المجتمع الإسلامي ويحكمه، متمثلاً في نظام التكافل الفريد، بشتّى أقسامه وألوانه، والتعاون الشامل بين كافة أفراده وجماعاته، ذلك التعاون الذي مثَّله النبي ﷺ خير تمثيل: كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

٣- **ألا يسمح للمشاعر المضادة للمشاعر الإسلامية** بالظهور والتأثير في المجتمع المسلم، بل يجتث جذورها حتى لا تظهر، ويطاردها إذا ظهرت بحيث تموت في مهدها.

ولهذا رأيناه ـ ﷺ ـ يبرأ من العصبية ـ المنافية للأخوة الإسلامية ـ ويقاومها بصراحة وجلاء؛ خشية على المجتمع الإسلامي الوليد أن تمزقه القَبَلية الجاهلية، التي سادته دهرًا طويلاً، وجعلت الرجل يغضب لابن قبيلته محقًّا كان أو مبطلاً، ظالمًا أو مظلومًا. وفي هذا جاء الحديث الشريف يبرأ من كل مَن دعا إلى عصبية، أو قاتلَ على عصبية، أو مات على عصبية، ويقول: «مَن قاتل تحت راية عمية، يدعو لعَصَبة، وينصر عصبة، فقُتِل، فقتلته جاهلية»[١].

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٨)، عن أبي هريرة.

ولما استطاع رجل من خبثاء اليهود أن يحيي مشاعر العصبية الجاهلية بين الأوس والخزرج ، يومًا ، أطفأ رسول الله ﷺ نار الفتنة بنور الإيمان ، وردهم إلى أخوة الإسلام .

فقد ذكر المفسرون عن محمد بن إسحاق وغيره : أنّ رجلاً من اليهود مرّ بملأ من الأوس والخزرج فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة . فبعث رجلاً معه ، وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم (بُعاث) وغيره من أيام الجاهلية ، ففعل ، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم ، وغضب بعضهم على بعض ، وتثاوروا ونادوا بشعارهم : يا للأوس ويا للخزرج ، وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى (الحرة) ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم بمن معه من المهاجرين من أصحابه فقال : « يا معشر المسلمين ، الله الله! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! بعد أن هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألّف بين قلوبكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا؟!» . فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد لهم من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا ، وعانق الرجال بعضهم بعضًا ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين(١) .

وهكذا يجب أن يكون المجتمع المسلم متنبهًا إلى هذه المداخل التي يدخل منها الشيطان ليفسد بها قلوب المسلمين ، ويثير بينهم نزغات الجاهلية .

ومن هنا يجب أن يتحرر المجتمع المسلم في عصرنا من غلو النزغات العصبية العنصرية (القومية) والإقليمية (الوطنية) التي تتسرب إلى حياة المسلمين ؛ لتحل محل الأخوة الإسلامية ، والوحدة الإسلامية ، وتقف منها موقف العداء .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٧٥٢٤) ، وانظر : تفسير ابن كثير ، وروح المعاني للألوسي في تفسير : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٠٠) .

لا جناح على المسلم أن يوجه اهتمامًا أكبر إلى قومه الأقربين ، وإلى وطنه الخاص ، فهذا أمر فطري ، ولكن في دائرة انتمائه الكلي للإسلام وأمته .

٤- **أن يسد النوافذ التي تهب منها ريح البغضاء** والخصومة والفرقة ، ويقضي على العوامل التي تدمر معاني الإخاء الإسلامي ، وتهدم المشاعر الإسلامية .

وهذا هو السر في تحريم الإسلام للغيبة والنميمة والسخرية بالخلق ، وغيرها من الرذائل التي تمزق العُرَى ، وتقتل روح المحبة بين الناس .

يقول النبي ﷺ : « إنَّ أحبكم إليَّ وأقربكم مني في الآخرة : أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة : أساوئكم أخلاقًا ، الثرثارون المتفيهقون المتشدقون »[1] .

ومن هنا ـ أيضًا ـ ينكر الإسلام التفاوت الفاحش بين الأفراد والطبقات ، بحيث يوجد الفقر المدقع إلى جنب الثراء العريض ، والترف المسرف إلى جوار الحرمان البائس ، إذ لا يُتصور قيام أخوة بين مترف غارق في النعيم إلى حد التخمة ، وبين محروم يشكو سغب البطن ، وجفاف الريق .

## ● ليس بمجتمع مسلم :

ليس بمجتمع مسلم ـ إذن ـ ذلك الذي تسوده مشاعر الحقد الطبقي ، لأن هذا الحقد إما أن يكون نتيجة تظالم اجتماعي ، وبغي بعض الناس على بعض ، وهذا لا يقر الإسلام وجوده في مجتمعه ، وإما أن يكون نتيجة لعوامل خارجية تعمل على تقسيم المجتمع تقسيمًا طبقيًا ، وتؤجج نار الصراع بين طوائفه وفئاته .

فالعمال والفلاحون عند الاشتراكيين فئة أو طبقة مدللة في الظاهر ، وإن تكن في الواقع أداة تُستخدم لأغراض شيطانية خبيثة .

---

(١) رواه أحمد (١٧٧٣٢) ، عن أبي ثعلبة الخشني . وقال مخرجوه : حسن لغيره . والترمذي في البر والصلة (٢٠١٨) ، عن جابر وقال : حسن غريب . وصححه ابن حبان (٤٨٢) . وقال المنذري في الترغيب (٤٠٤٠) ، والهيثمي في المجمع (١٢٦٦٥) : رجال أحمد رجال الصحيح .

وأما سائر الفئات من الملاك والتجار والمثقفين والطلاب وأصحاب الوظائف والأعمال المختلفة، فهم الفئات (البرجوازية) المغضوب عليها والتي تعيش في الدرجة الثانية، إن سُمح لها بالبقاء! وهذا كله لا يقره الإسلام أيضًا، فالإسلام يسمي الحسد والبغضاء: «داء الأمم»، ويقول عن البغضاء: «إنها الحالقة، لا تحلق الشَعر ولكن تحلق الدين!»[1].

وليس **بمجتمع مسلم** ذلك الذي تتقدم فيه العصبية الوطنية، أو القومية على الأخوة الإسلامية، حتى يقول المسلم: وطني قبل ديني، أو يقول المسلم العربي: عروبتي قبل إسلامي، أو يقول المسلم الهندي أو الفارسي، أو النيجيري، أو الصومالي: قوميتي قبل عقيدتي، ويبلغ الأمر ببعض الناس أن يجعلوا مثلهم الأعلى قول الشاعر القروي:

| | |
|---|---|
| **بلادك قدِّمها على كل مِلَّة** | **ومن أجلها أفْطِر ومن أجلها صُمِ** |
| **هبوني دينًا يمنح العرب وحدة** | **وسيروا بجثماني على دين (برهم)** |
| **سلام على كفر يوحد بيننا** | **وأهلاً وسهلاً بعده بجهنمِ!** |

فالأخوة الإسلامية فوق العصبيات، ورابطة العقيدة فوق كل الروابط، ودار الإسلام فوق كل الأوطان.

ليس **بمجتمع مسلم** ذلك الذي تتخذ فيه الأوطان والقوميات (أوثانًا) تُعبد من دون الله، تجند لتقديسها الأقلام والألسنة وجميع أجهزة التأثير والتوجيه والإعلام، وتجسد حولها المشاعر والعواطف، ويوجه لها الحب والولاء، إلى درجة العبادة بالفعل، وإن لم يعبروا عنها باللفظ.. إنها وثنية من نوع جديد ظهرت في بلدان شتَّى، ثم انتقل وباؤها وسرت عدواها إلى بلاد الإسلام، حتى لفت ذلك أنظار

---

(١) رواه أحمد (١٤٣٠)، وقال: إسناده ضعيف، والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، والبزار (٢٢٣٢)، وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤٠٨٤)، والهيثمي في المجمع (١٢٧٣٢)، وقال الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٩٥)، عن أبي الدرداء.

الباحثين والمراقبين من غير المسلمين : أن تنبعث من أرض التوحيد وثنية من طراز جديد .

**وليس بمجتمع مسلم** ذلك الذي يعادي المسلمين ، ويوالي أعداء الإسلام ، أو يسوي بين المسلمين والمشركين أو الملحدين في المعاملة ، فمشاعر الولاء للإسلام وأهله هي التي تقود المجتمع المسلم ، وكذلك مشاعر البغض لأعداء الإسلام الذين يكيدون لأهله ، ويصدون عن سبيله ، فأوثق عُرى الإيمان : الحب في الله ، والبغض في الله ، والولاء لله ، والعداوة في الله .

ومن هنا تكرر في القرآن الكريم مثل هذا النداء الإلهي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ (النساء:١٤٤) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ (الممتحنة:١) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ (الممتحنة:١٣)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (المائدة:٥١) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (التوبة:٢٣) .

وهكذا يدمغ القرآن مَن اتخذوا أعداء الله أولياء لهم وأحباء ، بأنهم منهم ، وأنهم ظالمون ، وأنهم ضلوا سواء السبيل ، وأنهم جعلوا لله عليهم سلطانًا مبينًا ، كما جعل ذلك في آية أخرى من صفات المنافقين : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء:١٣٨-١٣٩) .

ونفي عنهم الإيمان في آية أخرى فقال : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة:٢٢) .



OBEIKAN.COM

وفي آية ثالثة جعلهم ليسوا من الله في شيء ، قال تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾

(آل عمران:٢٨) .

المجتمع المسلم لا ينظر إلى الناس من خلال الأرض أو اللون ، أو العنصر ، أوالطبقة ، بل من خلال العقيدة بالنسبة للمسلمين ، ومن خلال الرابطة الإنسانية بالنسبة لغير المسلمين .

**فالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين .**

والبر والقسط لكل الناس ما لم يقاتلوا المسلمين أو يظاهروا عليهم : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة:٨-٩).

والرحمة لكل مخلوقات الله ، حتى البهائم العجماوات ، والقطط والكلاب ، فلا يجوز الخلط بين الولاء وغيره من البر والرحمة . فتخصيص الولاء للمسلمين ؛ لا ينفي البر والعدل والرحمة بالآخرين .

يقول برنارد لويس : (فأساس التقسيم عند المسلمين ، والذي يفرق إنسانًا عن آخر ، ويميز بين الأخ والأجنبي هو الإيمان ، والانتساب أو عدمه إلى أمة الإسلام .. والذي قصدناه بالإيمان عند المسلمين يعني الدين ، ويعني أيضًا القوة الاجتماعية في الأمة ، والمقياس الوحيد لهويتها ، والبؤرة التي يتجمع حولها ولاء الجماعة . ففي المجتمع الإسلامي العالَمي كل مسلم أخ لكل مسلم آخر (على الأقل نظريًا) مهما كانت لغته وأصله وسلالته وبلاده ، فهو أقرب له من مواطنه الذي قد يتكلم لغته وينحدر من نفس سلالته ، ولكنه لا يدين بنفس عقيدته ، حتى إن المسلم

المؤمن يرفض أي صلة بأسلافه القدامى في العهود الجاهلية ، لأنه لا يحس أن بينه وبينهم أي رابطة من هوية عقائدية أو صلة روحية ، وإهمال المسلمين لعلم الآثار وعدم اهتمامهم به في الشرق الأوسط المسلم ، لا يعني أن المسلمين جهلة برابرة ، لا يستطيعون فهم أهمية هذه الأشياء . . كلا . . فعلى العكس من ذلك ، إنهم قوم حضارة سامية ، وإحساس قوي مرهف بالتاريخ ومكانتهم ، إلا أن تاريخ المسلمين بدأ بظهور الإسلام ، وسلفهم الصالح هم أوائل المسلمين عند قِبْلة الإسلام ، في قلب جزيرة العرب ، فقدماء المصريين من المشركين والبابليون وغيرهم من الشعوب القديمة ، هم غرباء أجانب عنهم ، على الرغم من الصلة الوطنية في الدم والتراب)[١] .

* * *

(١) الغرب والشرق الأوسط صـ١٠٧ ، ١٠٨ .



OBEIKAN.COM